ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

هل أنهت تفاهمات "الأمر الواقع" خريطة الدم؟

سمير الفزاع

حلف واشنطن، البنية السياسية والعسكرية التي تشغل بال الكثيرين في المنطقة والعالم، في أي مرحلة هو؟ وما هو المستوى الذي بلغته "العلاقات" السورية-الأمريكية؟ وإلى أي منهم نحن أقرب، الحرب أم التفاهمات؟ إنها الأسئلة التي سأحاول البحث عن إجابات مقنعة عنها ما أمكنني ذلك، بالقليل من المعلومات المتوفرة، وبالكثير من الاستقراء والتحليل.

* حقائق الميدان تسقط مؤتمر جدة :

عقدت أمريكا اجتماع في جده لعدد من حلفائها الإقليميين والدوليين، لتعلن من هناك تحالفها المزعوم لمحاربة داعش، لكن رزمة من التحديات واجهت هذا الحلف قبل أن يبدأ :

١- كيف يمكن محاربة داعش في العراق وسورية، دون وجود موسكو وطهران؟ موسكو التي أرسلت عدد من الطائرات القاذفة وأطقمها اللازمة إلى بغداد حتى قبل أن تفعل طهران ذلك، موسكو حليف قديم وقوي لدمشق. أما طهران المهددة بخطر داعش، فلديها علاقات خاصة ومتشعبة مع العراق، ويربطها تحالف قوي مع دمشق.

٢- بطبيعة الحال تمّ استثناء دمشق مع هذا التحالف، وفي سياق الحرب عليها، كيف يمكن لهذا التحالف أن يحارب داعش في سورية والعراق دون أن تستفيد سورية من هذه الضربات؟

٣- لا يمكن لأمريكا وأدواتها في المنطقة أن تنسى بأن حكومة المالكي، وحلفائها في سورية و إيران هم من أخرج واشنطن من العراق بعد احتلاله لعقد كامل، وهي تريد استثمار داعش لفرض وقائع تلبي مصالحها في التعويض عن هذه الهزيمة المذلة، لكن السؤال المنطقي الذي سيتبادر إلى الذهن مباشرة، من سيكون البديل عن الحكومة العراقية برئاسة المالكي، وعن القيادة السورية بزعامة الرئيس بشار حافظ الأسد؟ .

٤- تفاقم مأزق واشنطن وحلفها، فاكتفت بأن يكون البديل عن المالكي أحد رفاقه، في حكومة سيكون أحد نواب رئيسها المالكي نفسه، وأن "تبيع" حلفائها وأدواتها وَهمَ "المعارضة المعتدلة" التي ستكون جاهزة للحلول مكان الرئيس الأسد بعد ثلاثة أو خمسة أعوام، ولكنها في الجانب الآخر كانت تضع اللمسات الأخيرة على "تفاهم الأمر الواقع" مع دمشق.

* تفاهمات "الأمر الواقع" :

عندما سئل وزير الخارجية "المعلم" عن موقف الحكومة السورية من تحالف واشنطن، قال: (الخيار الأول: الرفض. من دون القدرة على ترجمته عسكرياً بنجاح وهذا بدوره يمنح المتطرفين في مؤسسة الحكم الأميركية، وحلفاء واشنطن الإقليميين، الذريعة المناسبة لشن حرب أميركية-أطلسية على سوريا ولن نمنحهم هذه الذريعة. الخيار الثاني: هو القبول السياسي، وهذا يتعارض مع استراتيجيتنا السيادية والسياسية، وهكذا كان هناك خيار ثالث، "القبول الواقعي"؛ لا مغامرة في مواجهة خاسرة ولا اعتراف سياسي). لنحاول التفسير :

١- داعش، أداة أمريكية-عربية-تركية، بمعنى أنها تحقق الكثير من أهدافهم، وتتلقى دعمهم المباشر وغير المباشر، وهم من أسبغ عليها الشرعية عندما وصفوها، بالتعبير العنيف عن تهميش السنة في العراق وسورية. بعد هذا التعريف لن يكون مهماً جداً التحديد بدقة، من يأمر، ولصالح من تعمل.

٢- حاولت واشنطن استثمار خطر داعش على المنطقة، ليكون الجسر الذي تعبر فوقه واشنطن بمصالحها إلى المنطقة مجدداً. واقعيّاً، داعش ليس تنظيم يستحيل هزيمته، فهو يتحرك في مناطق معزولة وسهلة التضاريس عموماً، ولديه إمكانات محدودة، ويحيط به عدد من الدول القوية والقادرة على هزيمته بيسر، وطبيعته الإجرامية تجعل من تمدده شعبيّاً أمراً محدوداً جداً... لكن ذلك يتطلب إرادة جماعية، إقليمية-دولية لهزيمته، وهذا ما تحاول واشنطن إستغلاله، وهذا ما حاولت تركيا إبتزاز واشنطن عبره.

٣- بقيت داعش حرّة في التوسع والقتل والتهجير... حتى شارفت على حدود أربيل، حيث المصالح الأمريكية المباشرة، شركتان عملاقتان للنفط تعودان للحزبين الأمريكيين الجمهوري والديمقراطي، وقاعدة تجسس أمريكية كبيرة... عندها فقط تحركت واشنطن، وقبل أن تتلقى طلباً من الحكومة العراقية في بغداد.

٤- اكتشفت واشنطن أن محاربة داعش حول إقليم كردستان ستتطور إلى معركة إستنزاف طويلة الأمد، وقد تكون خاسرة في نهاية الأمر، فقررت ملاحقته في العراق. لكن مجريات الميدان أعادتها إلى نقطة البداية مرة أخرى، لا هزيمة لداعش في العراق إلا بهزيمته في سورية أيضاً. لكن كيف لها أن تحارب داعش هناك دون التنسيق مع عدوها اللدود بشار الأسد؟ وكيف ستحارب داعش في العراق وسورية دون أن يستفيد من هذا الجهد الرئيس بشار حافظ الأسد، الذي تحاربه هي وحلفائها، وأدواتهم في سورية منذ أربعة أعوام تقريباً؟ .

٥- إضطرت واشنطن لعقد "تفاهمات الأمر الواقع" مع سورية، بعد إجراء سلسلة من الاتصالات معها، بعضها مباشر مثل لقاء مسقط، وعبر الوسطاء، كمستشار الأمن الوطني لرئيس الحكومة العراقية.

* معركة عين العرب، هيبة واشنطن، أفخاخ أردوغان، وتحالف يتداعى :

دون أية مبررات منطقية، قوة كبيرة من داعش تهاجم عين العرب، لهذا أجمع عدد كبير من المحللين والسياسيين أن غزوها كان بأوامر تركية وتحقيقاً لمصالحها، وأحد أهم هذه المصالح التركية، جرّ واشنطن إلى حرب مفتوحة مع سورية. يخطئ من يقول بأن هدف أردوغان من غزوة داعش، هو إقامة منطقة آمنة في عين العرب على غرار كردستان العراق، والخلاص من نموذج الإدارة الذاتية الكردية فيها. إن فرض المنطقة الآمنة، سيعني تلقائياً حماية الإدارة الذاتية هناك، وهو ما يرفضه أردوغان، ويحول كرد سورية إلى "الحلفاء على الأرض" الذين تسعى واشنطن لإيجادهم بأي ثمن.

كيف نفسر هذا اللغز؟ لنتذكر المشهد :

١- اشتعلت معركة عين العرب، وقتل المئات، وتشرد عشرات الآلاف... بينما واشنطن تقول: إن محاربة داعش في المدينة خارج إستراتيجيتها.

٢- واشنطن ترفض إقامة منطقة آمنة هناك، أي، امتناعها هي، ورفضها لأي مسعى تركي أيضاً لإقامة مثل هذه المنطقة، خصوصاً مع رفض موسكو وطهران القاطع لأي تدخل تركي في الأراضي السورية.

٣- الدبابات التركية تتسمّر على الحدود مع المدينة، والعالم مشغول بمتابعة محاولات داعش لافتراسها، وبالمقاومة البطولية التي يظهرها بضعة مئات من السكان المحليين، على مرأى ومسمع من العالم.

٤- واشنطن تسعى لتوسيع نشاط تحالفها على الأراضي السورية؛ فكيف ستقف مكتوفة الأيدي أمام هذا التحدي المأساوي؟ إنه الفخ الذي نصبه أردوغان لأوباما. لكن، واشنطن مجبرة على مساندة عين العرب، لكن كيف ستساندها دون "تفاهم جديد" مع دمشق؟ .

* فرضية، عدو عاقل خير من صديق مغامر :

لقد كان "المعلم" دقيقاً في وصف العلاقة السورية-الأمريكية، عندما قال: (لا يوجد تنسيق بيننا وبين الأميركيين، ولا صفقة). فالتنسيق يكون بين الأصدقاء، والصفقة تتم بين مشترٍ وبائع، وسورية الدولة الوطنية والمبدئية لا تتعامل بهذا المنطق المبتذل، وإن كانت واشنطن تلجأ إليه وتتفنن فيه تاريخيّاً.

لعل عين العرب كانت خارج النطاق الجغرافي "لتفاهم الأمر الواقع" الذي تمّ سابقاً. ألم يقل "المعلم" حرفيّاً: (قبل أن يبدأ الأميركيون طلعاتهم الجوية، كان سلاح الجو السوري يقوم يومياً، بضرب تجمعات داعش حول عين العرب، لكنه اضطر للتوقف لأنه لا يوجد تنسيق ميداني مع الأميركيين)؟. غضب أوباما من أردوغان عقب تكشف أبعاد الفخ الذي كان يعده له، إنها المرة الثالثة على الأقل. ما الحل؟ لا حلّ إلا بطرق أبواب دمشق. طرقت واشنطن أبواب دمشق، وتمّ التوصل إلى تفاهم جديد. ربما هذا ما دفع موسكو لنصيحة دمشق بعدم الوثوق بتعهدات واشنطن. بمكالمة هاتفية مقتضبة، ليلة ١٠/١٩ يبلغ أوباما أردوغان بأنه أمر طائراته بإلقاء السلاح والذخائر لعين العرب، وأن قوة من البشمركة ستعبر الأراضي التركية لنجدة عين العرب. أمريكا تقصف داعش حول عين العرب، وتلقي لها السلاح والذخائر بالمظلات، ولكن أين دمشق؟. عندما قرأت ما قاله "المعلم" عن عين العرب لفتتني العبارة التالية بقوة: (عين العرب سورية، ومواطنوها سوريون. ونحن كنا ولا نزال نزوّدها بالمؤن والسلاح والذخائر، وسنستمر) هذا الكلام قيل قبل أيام فقط، فكيف "سنستمر" كما قال "المعلم" وكلنا يعرف حال المدينة؟ هذا يعيدنا إلى "التفاهم الجديد"، ما هي أهم بنوده "المفترضة"؟ .

١- تقوم واشنطن بإلقاء الذخائر والأسلحة والمؤن لعين العرب، كما كانت تفعل الحكومة السورية، منعاً لأي احتكاك سوري-تركي سيشعل المنطقة. ظهرت أهمية هذا البند عندما عثر على ثلاث طائرات حربية مع داعش في أحد المطارات شمال حلب، ربما كانت ستستخدمها تركيا في ضرب أهداف على أراضيها لإفتعال حرب تركية-سورية تخلط الأوراق مجدداً.

٢- تقوم واشنطن لوحدها، بمطاردة داعش على الأراضي السورية، ووفق "تفاهمات الأمر الواقع"، منعاً لارتكاب أي طرف في تحالفها لخطأ ما -مقصود أو غير مقصود- ضد مواقع الجيش العربي السوري، قد يؤدي إلى تدهور الوضع، وهذا يفسر غياب العنصر العربي والغربي عن هذه الضربات مؤخراً.

٣- تنهي واشنطن اعترافها بـ"الإئتلاف الوطني" مبدئياً، وتتخلى بالتدريج عن خطط تدريب "المعارضة المعتدلة" بعد استئناف عملية سياسية مرتقبة، وكلنا سمع وقرأ عن مثل هذه المعلومات.

٤- تفرض واشنطن وحلفائها، قيود فعالة على تمويل داعش وتسلحها والتحاق إرهابيون جدد بصفوفها، وهذا يفسر هجوم بايدن على تركيا والسعودية.

٥- ولن يقول على ماذا ستحصل واشنطن من هذا التفاهم، بكلمة واحدة: تقتضي الحكمة بعدم إهانة الخصم المكسور حتى لا ندفعه لمواجهتنا، بحرب اليائس المنتفض لكرامته، ولا أرى حال واشنطن وأوباما إلا هكذا.

* أهي الحرب أم التفاهمات؟ :

خطت واشنطن نحو دمشق عدة خطوات، وبعيداً عن الديباجة المخصصة للاستهلاك الإعلامي، فإن جديد التصريحات الأمريكية كلمات زاخرة "بالتغيير"، وآخرها ما قاله أوباما نفسه: (إن التحالف مع الأسد سيضر بتحالفنا ضد داعش) من طرح الفكرة، وكيف سيكون هذا التحالف؟! لم أسمع عن مسؤول سوري طلب التحالف مع واشنطن؟! أهي نهاية خريطة الدم وحدودها التي "خبرناها" لأربعة أعوام؟. يبقى هذا المسار في بداياته، وقد ينتكس في أي لحظة، وهو ما تتحسب له سورية عندما قال وزير خارجيتها "المعلم": (مؤقتاً، ندرك أن الرئيس الأميركي باراك أوباما، لأسباب داخلية، يريد تجنّب الحرب مع سوريا، مكتفياً بالتدخل الجوي ضد داعش. ونحن نفيد من ذلك. لكن لا نعرف كيف سيتصرف أوباما، تحت الضغوط المتصاعدة، والتي ستكون أكثر تأثيراً إذا ما تمكن الجمهوريون من تحقيق أغلبية في الانتخابات الأميركية النصفية).

إيليوت أبرامز: مصلحتنا من إسقاط الأسد.. تدمير حزب الله !

صباح أيوب

يحضر اسم إيليوت أبرامز كلما وضع المحافظون الجدد خططاً لمنطقة الشرق الأوسط، وتحديداً للبنان وسوريا، منذ عام ٢٠٠٠. الرجل الذي خدم في عهود رونالد ريغان وجورج بوش الابن وشابت مسيرته فضائح وإدانات في الكونغرس، رسم ولا يزال سيناريوهات أميركية للمنطقة تقوم على تحقيق مصلحة إسرائيل والحفاظ على أمنها. ولعلّ أشهر تلك الخطط، الوثيقة التي صدرت في أيار عام ٢٠٠٠ وحملت عنوان "إنهاء الاحتلال السوري للبنان، دور الولايات المتحدة الأميركية".

أبرامز، اليهودي الأصل، الذي شغل مناصب حساسة في إدارة الأمن القومي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بين عامي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٩ (في عهد بوش الابن)، لطالما دعا الى تغيير جذري في السياسة الأميركية تجاه سوريا منذ عهد الرئيس السابق حافظ الأسد. تغيير من شأنه أن يحفق×صلحة إسرائيل وتوقيع سلام شامل معها، كما يصبو أبرامز وزملاؤه من المحافظين الجدد.

وفي عام ٢٠١٤ لا تزال رؤى أبرامز ومطالبه على حالها. قبل أيام، وقف المسؤول السابق في الإدارة الأميركية أمام "لجنة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" التابعة لـ "لجنة العلاقات الخارجية" في مجلس النواب، وأدلى بشهادته حيال السياسة الأميركية في سوريا.

موضوع جلسة الاستماع، كان تحديداً حول "الخطوات التالية للسياسة الخارجية في العراق وسوريا". اللافت في شهادة أبرامز عن العراق وسوريا، كان تركيزه على حزب الله.

في معظم كلامه عن الاستراتيجية التي يجب على واشنطن اعتمادها في سوريا، أشار أبرامز الى حزب الله كهدف يجب التخلص منه من أجل تحقيق المصالح الأميركية والإسرائيلية في المنطقة.

قسّم أبرامز خريطته الى محورين: "محور حزب الله. إيران. روسيا، الذين يدعمون الأسد، ومحور الولايات المتحدة وأوروبا وأصدقائنا من دول الخليج (الفارسي)، الذين يريدون رحيله". ثم شرح أن أي موافقة أميركية على أن يكون الأسد جزءاً من السلطة في المرحلة المقبلة "ستعدّ هزيمة لواشنطن وانتصاراً لطهران". وبما أن مسألة "مَن سيفوز؟" في هذه المعركة في الشرق الأوسط تحديداً "أمر مهمّ"، يجب أن تخرج الولايات المتحدة "منتصرة". كيف؟ يقول أبرامز إنه يجب أن "يستبدل نظام الأسد بنظام سنّي يأخذ منحى الدول السنيّة المجاورة"، ما سيمثل "هزيمة لروسيا ولإيران ولحزب الله". "هزيمة النظام السوري ستدمّر حزب الله في الداخل اللبناني" أضاف أبرامز، متابعاً: "لقد ازدادت قوة الحزب في لبنان منذ عشرات السنين، لكن نقطة تحوّل ما قد تحدث (في سوريا) وقد تكون بداية تراجعه. وهذا سيصبّ في مصلحتنا بالتأكيد". وعن مصلحة إسرائيل، شرح المسؤول الأميركي (السابق) أن "سوريا تؤمّن جسراً بين إيران وحزب الله، وبهذا تكون لإيران حدود مع إسرائيل من خلال الحزب"، وتلك مشكلة بحدّ ذاتها، لكن، يخلص، "إذا سقط الأسد.. فكل ذلك سيتغيّر".

ماذا عن "داعش"؟ أشار أبرامز الى أنه "لهزم داعش يجب تغيير المعادلة في سوريا". كيف؟ "إضافة الى تسليح المعارضة... يجب ضرب سلاح الجوّ السوري"، دعا أبرامز بحزم، مبرّراً أن الأسد "يستخدم هذا السلاح لضرب شعبه".

تجدر الإشارة الى أنه خلال حديث أبرامز عن الشأن اللبناني وكيفية إضعاف حزب الله داخلياً، ذكر أن "هناك استياءً لدى اللبنانيين من مشاركة الحزب بالقتال في سوريا، ومن الشيعة الذين يتساءلون لماذا يموت أولادهم دفاعاً عن بشار الأسد؟".

أبرامز "اهتمّ" بالشأن اللبناني منذ ما قبل عام ٢٠٠٠، من خلال علاقات جمعته برجال أعمال ومتموّلين لبنانيين، ولاحقاً مع سياسيين من فريق ١٤ آذار. وثيقة "إنهاء الاحتلال السوري للبنان" (أيار ٢٠٠٠) جاءت بمشاركة بعض هؤلاء، الى جانب عدد كبير من صقور المحافظين الجدد. من بين اللبنانيين يذكر زياد عبد النور، دانيال ناصيف، نبيل الحاج، حبيب مالك، سمير بستاني، شارل صهيون... ومن أبرز المحافظين الجدد ريتشارد بيرل (رئيس لجنة استشارية في الشؤون الدفاعية في عهد جورج بوش الابن)، دانييل بايبس، باولا دوبريانسكي، دوغلاس فيبث، جين كيركباتريك... وثيقة عام ٢٠٠٠ طالبت بانسحاب القوات العسكرية والاستخبارية السورية من لبنان (الأمر الذي تحقق بعد ٥ سنوات)، والأخذ في الاعتبار "تدخل عسكري أميركي سريع" ضد سوريا "بغية حماية حريات لبنان وتعدديته" و"الدفاع عن مبادئ الولايات المتحدة ومصالحها". "لم يكن الجنوب قد تحرر بعد. ولم يكن بشار الأسد قد وصل إلى السلطة. ولم تكن تفجيرات ١١ أيلول حصلت. ولا احتلال أفغانستان والعراق. ولا التمديد. ولا قانون المحاسبة. ولا القرار ١٥٥٩، ولا موجة الاغتيالات والتفجيرات... لم يكن أي من ذلك قد حصل، ومع هذا كان هناك من يفكر، ويخطط، وينفذ، وينتظر التطورات القادرة على نقل الأهداف إلى حيز الواقع"، كتب جوزف سماحة عن تلك الوثيقة في مقال، واكب زيارة أبرامز وديفيد ويلش الى لبنان مطلع عام ٢٠٠٦، بعنوان "استقبال إيليوت أبرامز: البيض والبندورة والعصي" ("السفير" - ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٦).

قواعد لـ "اللعبة" مع الاحتلال !

حلمي الأسمر

حين يسلبك الاحتلال الوحشي حياتك كلها، ويستبيح كل شيء، تتغير قواعد الحرب، والمواجهة، ويصبح من الواجب الرد بنفس المنطق.

ليس لمن هدم مساجد غزة على رؤوس أصحابها، وألزم أهل القدس بهدم منازلهم بأيديهم أي حرمة لكنسه التي بنيت أصلاً على أرض ارتكب عليها مذابح راح ضحيتها أطفال وشيوخ ونساء.

المتباكون على "استباحة" أوكار مستوطنين قتلة تدعى "كنس" إما أنهم جهلة، أو يتوسلون لإرضاء من لن يرضى عنهم ولو تحولوا إلى شمع ينير ظلماته.

لا يوجد في الحقيقة أي قواعد لـ "اللعبة" أو خطوط حمراء مع احتلال همجي سلب الأرض، وشرد الشعب، وأقام "دولة" على أشلاء بشر تفرقوا في منافي الأرض، قد يخدع إعلام الاحتلال أمة الغرب، وقد يتواطؤوا معه، هذا شأنهم، لكن ما شأن بعض البغاوات من الصهاينة العرب، الذين يدينون الضحية حين تئن متوجعة، ويرفعون من شأن المعتدي حين يمارس جبروته؟ أنى لنا أن نفهم ذلك "المنطق" الذي يقول، إن استباحة كنيس يهودي، تؤدي إلى استباحة مسجد؟ ألم يرصاحب القول مئات المساجد وهي محض ركام في غزة، كما في قرى فلسطين المنسية، التي هجرها أصحابها هرباً من مذابح القتلة؟ هل نسي هؤلاء مسجد أبينا إبراهيم، واستباحته من قبل المستوطنين، وتحويله إلى ساحة للعب؟ هل رأى هؤلاء بعض مساجد يافا وحيفا واللد وقد تحولت إلى بارات أو معارض لبيع التحف، أو متاحف؟ ثم.. قبل هذا وبعده، ما قيمة المسجد أصلا، وانتهاك حرمته أمام استباحة حياة الأطفال والنساء والشيوخ، وتحويل أجسادهم إلى أشلاء، بالقنابل الأمريكية في غزة وغيرها؟

لم يبق الاحتلال الصهيوني الوحشي جريمة إلا وقد ارتكبها في فلسطين، ولم تدخر عقول قتلته من محققين وجنود، ومستوطنين، طريقة من طرق التنكيل والإذلال والتعذيب، والإعدام والقتل بدم بارد، إلا وارتكبوها، والغريب أن كل من لديه ولو اطلاع بسيط على المشهد الفلسطيني يعرف الحقيقة، ومع هذا يطلع علينا من يتشدق بالأسف أو الإدانة على اقتحام كنيس، أو وكر للمستوطنين القتلة، ناسيا كل السجل الأسود المفتوح بعد لجرائم الاحتلال ضد شعب وأرض فلسطين.

أنا على يقين أن عملية إحصاء هذا السجل تستعصي على أعتى المؤرخين، والمدونين، لأن ثمة حربا مفتوحة يشنها الصهاينة على فلسطين، بدأت منذ اكثر من مائة سنة، ولم تنته بعد، وطالت البشر والشجر والحجر، ولكن أولئك "العباقرة" ممن أدانوا عملية القدس البطولية، بلا ذاكرة كما يبدو، أو هم محض ببغاوات أو جهلة، يهرفون بما يعرفون ربما.

هل لبنان مطابق للمواصفات؟

غسّان جواد

كلّ الكلام الإيجابي الذي يؤشر الى اقتراب الفرج في ملف رئاسة الجمهورية مبنيّ على محطات دولية - إقليمية مقبلة قد تنتج اتفاقات وتفاهمات شاملة، ربما تصل الى لبنان.

في الاثناء يستطيع الافرقاء الداخليون التلهي بمبادرات من هنا، وتحليلات من هناك، واشتباكات هنا وهناك، أو ترتيب الاجواء لتلقف التحوّلات الخارجية والبناء عليها في ما يصبّ في خانة التفاهم على رئيس جديد للجمهورية وعلى شكل السلطة المقبلة.

بعد التمديد للمجلس النيابي، انطلق افرقاء سياسيون في عمليات استكشافية داخلية، تهدف الى تحريك ملف الرئاسة على الصعيد المحلي، أو لنقل تحضير المناخات لتلقف احتمالات التفاهم الخارجية وانعكاساتها على لبنان.

هذه الحركة ليست "بلا بركة" كلياً، فقد أنتَجت حتى الآن الإعلان عن استعداد "حزب الله" وتيار "المستقبل"، الطرفين الوازنين في البلاد للحوار في شان الرئاسة، ما يعني أنّ المساعي الداخلية أثمَرت مواقف اعلامية حوارية، مع العلم أنّ الجميع ينتظر نتائج الحوار الايراني - الغربي حول الملف النووي للبناء على الشيء مقتضاه.

ثمّة رأي يعتبر التفاهم الايراني - الاميركي مقدمة لتفاهمات تشمل معظم ملفات الاقليم، ومن ضمنها لبنان. ولا شك في أن الاتفاق اذا ما تمّ سيترك أثراً بالغ الاهمية على المنطقة، ويدفع في الغالب الى تفاهمات وإعادة إنتاج نظام اقليمي يمنع الانهيار والفوضى المدمّرة في معظم البلدان العربية.

ويرى أصحاب هذا الرأي أنّ الطرفين الاميركي والايراني يحتاجان الآن إلى تظهير اتفاق ما، ولو بالحدّ الادنى المفضي الى تمديد مهلة التفاوض وتجديد رفع العقوبات الاميركية عن إيران بمقتضى التفاهم المبدئي السابق، وهذا بدوره سيدفع الى البحث في تخفيف الاحتقان الاقليمي لتحضير الاجواء قبل تظهير اتفاق نهائي من شأنه تغيير شكل المنطقة وموازين القوى الدولية.

على هذا المسار، يبني المتفائلون رؤيتهم ويشيعون أجواء من الامل، لكن دون هذا المناخ الايجابي مصاعب كثيرة، أوّلها احتمال عدم حدوث التفاهم بين إيران ودول (٥+١)، ما يعني دخول المنطقة مرحلة جديدة من الفوضى والفراغ والاستنزاف، مع ما يمكن أن ينبت الى جانب ذلك من تصاعد للعنف والارهاب، ولبنان نموذجيّ وجاهز لتنفيس أيّ احتقان دولي - اقليمي، او ليكون ساحة توجيه اشتباك وتفاوض وتوجيه رسائل.

ومن الاسئلة المطروحة ايضاً: كم يحتاج الاتفاق اذا حصل ليترجم في الاقليم؟ ومن أين ستكون البداية؟ من اليمن الى البحرين فالعراق وسوريا ولبنان؟ كلّ ملف من هذه الملفات يوازي بأهميته الملف الآخر، أوليس الشرق الاوسط كله منطقة حيوية يحتاجها العالم؟

رمي الامور كلها على الخارج مسألة خاسرة بلا شك. قد لا تأتي حسابات القمح الدولي مطابقة لحسابات البيدر اللبناني، وعندها ندخل في مزيد من الفراغ والانتظارات القاتلة. لا بدّ من حراك لبناني عموماً ومسيحي خصوصاً لإخراج الجمهورية من الاهتزاء والانعدام والفراغ، الى شيء من الاستقرار وإعادة تكوين السلطة وبناء وتحصين مؤسسات الدولة.

لن يستقيم شيء في البلد قبل أن تستقيم السياسة، وقبل إدراك اللبنانيين أنّ إلغاء الذات وترك كل القرار في الخارج يترك نتائج وخيمة بدأنا نلمسها أزمات اجتماعية واقتصادية وصحية وبيئية.

لبنان بأسره لم يعد بلداً مطابقاً للمواصفات. نسبة التلوّث التي اعلنت وزارة الصحة عن اكتشافها في المواد الغذائية وفي بعض المطاعم والمحال التجارية، هي رأس جبل الفساد والاهتزاء والتعفن الذي يضرب البلاد من شمالها الى جنوبها، والبلد يبتعد تدريجاً عن مواصفات وطن ودولة في ظلّ الفراغ والتربص والانتظار.

وجود رئيس للجمهورية ليس المفتاح السحري لحلّ كلّ هذه المشكلات، والازمة اللبنانية اصبحت في مستوى اخطر من موضوع الرئاسة، لكن ينبغي أن نبدأ من مكان ما، فيكون انتخاب رئيس جديد للبلاد افتتاحاً لمرحلة جديدة قد تنجّي لبنان من الأتون الذي يحرق المنطقة.